ملف العدد :

أزمة كورونا وعام مصر – روسيا ٢٠٢٠

أليكسى تيفانيان
مستشار السفارة الروسية
ومدير المراكز الثقافية الروسية فى جمهورية مصر العربية

بين ليلة وضحاها أصبح العالم حبيس الاحتياطات الأمنية ضد أخطر عدو عرفه العصر الحديث، فيروس كورونا المستجد، والذي أمسك كل مناحي الحياة الإنسانية في قبضته الحديدية؛ فأصبح من الصعب الانفلات منها والتخلص من تأثيراته وتبعاته على الاقتصاد والتعليم والسياحة والترفيه بل وحتى على العلاقات الاجتماعية والتواصل الإنساني بين العائلات والأصدقاء وغيرها.

وبالتالي فإن المجال الثقافي هو الآخر تعرض لانتكاسة تعتبر الأولى من نوعها، حيث توقف الشريان النابض باللقاءات على أرض الواقع من خلال المهرجانات والأمسيات وأصبح المشهد الثقافي باهتا بل مظلماً، فقد استطاع الفيروس إيقاف جميع الأنشطة العامة ليست الثقافية فحسب، بل استطاع الوصول إلى أبعد من ذلك بكثير إذ أصاب العالم بالشلل التام، وباتت الحياة قاب قوسين أو أدنى من الموت السريري، وفرض الوباء الخبيث العزلة على الجميع، وأصبح من المستحيل التنقل والتحرك من أجل التواصل المباشر تحت سقف قاعة واحدة أو على منصة ثقافية واحدة، لكن هذا الحصار في حد ذاته جعل أغلب المثقفين يفكرون في سبُل استمرارية أو خلق التواصل بينهم فلجأوا إلى منصات التواصل الاجتماعي مثل الفيسبوك باللقاءات على الهواء مباشرة أو إنشاء مجموعات على الواتساب من أجل خلق شعور ولو إفتراضي بالتواجد الروحي مع الآخر، وإن لم يجمعهم المكان فإن الزمن يجمعهم ويقرب بينهم حتى إشعار آخر.

لقد استقبلنا عام ٢٠٢٠ بسعادة غامرة لتدشين فعاليات عام التعاون الانسانى بين مصر وروسيا الذى تم الإعلان عنه فى نهاية عام ٢٠١٩ بمبادرة ودعم من الرئيسين

عبد الفتاح السيسى وفلاديمير بوتين، ليكون الحدث الثقافى التاريخى وغير المسبوق للإحتفاء بمرور ٧٧ عاماً من العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، والذى كان سيسمح للشعبين بمزيد من المعرفة المتبادلة والدعم للعلاقات الثنائية، وخاصة أنه سيمتد لمدة عام كامل.

لقد انتظرنا هذا العام ٢٠٢٠ الذى توقعنا منه الكثير والكثير وكنا على موعد مع لقاء السحاب بين الثقافة المصرية بحضارتها العريقة والثقافة الروسية بحضارتها الثرية، فهل هناك ما هو أجمل من حضارتين قدمتا للبشرية الكثير والكثير وأسهما بشكل غير عادى فى النهضة الحضارية والانسانية لشعبيهما وللكون كله، ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن، حيث فوجئ العالم بظهور فيروس كورونا ومع تفاقم عدد المصابين بالفيروس وتسارع انتشاره، اتجهت الدول إلى منع الانتقال منها وإليها وأغلقت حدودها، ولم يقتصر الأمر على إغلاق الحدود بل وإلغاء جميع الفعاليات العالمية والمحلية، وكان من ضمنها بالطبع عام التعاون الانسانى بين مصر وروسيا.

إن العلاقات الثقافية بين مصر وروسيا لها مضمون ثرى وتاريخى كما تبرهن على ذلك شخصيات هامة مثل الدكتور جابر عصفور وزير الثقافة الأسبق والدكتور أنور ابراهيم وكيل اول وزارة ورئيس قطاع العلاقات الثقافية الخارجية السابق والمستشرق الروسى الكبير الدكتور فلاديمير بيلياكوف الأستاذ فى العلوم التاريخية والذى له ٢٠ مُؤَلفا عن مصر، ورجل الدولة السوفيتى والروسى البارز يفجيني بريماكوف رئيس وزراء روسيا الأسبق، ففى العقد الثالث للقرن التاسع عشر أوفد محمد على الشيخ محمد عياد الطنطاوى إلى روسيا ليعيش على ضفاف نهر الفولجا كممثل للثقافة المصرية والعربية وتواصل مع المثقفين والأدباء الروس ليتحول الى علامة مضيئة ودالة على مدى العمق التاريخى للعلاقات الثقافية بين الشعبين الصديقين، وأصبح أول معلم للغة العربية فى تاريخ روسيا، وكان قد أزيح الستار قبل نحو سبعة أعوام عن تمثاله البرونزى فى مدينة سان بطرسبورج بحضور حاشد للمثقفين والأكاديميين الروس وممثلى الجالية المصرية والجاليات العربية.

مع انطلاق فعاليات عام مصر– روسيا ٢٠٢٠، تم الإعلان عن أجندة ثقافية وفنية متبادلة بين الجانبين المصري والروسي تضم مؤتمرات ثقافية، ندوات، عروض

سينمائية ومسرحية، وإقامة معارض للفنون التشكيلية والحرف اليدوية، بالإضافة إلى تبادل زيارات فرق الفنون الشعبية وعروض السيرك والبالية وترجمة عدد كبير من الكتب في مختلف المجالات وعلى رأسها الأدب الروسي.

هذا وقد أستهل المكتب الثقافي للسفارة المصرية في موسكو تحت رعاية السفير الدكتور إيهاب نصر وإشراف المستشار الثقافى الدكتور محمد نصر الجبالى، أجندة فعاليات عام مصر – روسيا ٢٠٢٠ باستقبال كل من الباحث والمترجم إيجور سيد مسئول العلاقات الخارجية بمعهد الترجمة في موسكو، وتم بحث سبل تيسيير الحصول على حقوق الترجمة لعدد من الكتب، كما تم استقبال الدكتورة يلينا خميليوفسكايا رئيسة قسم آسيا وإفريقيا بصندوق "العالم الروسي" وهي المؤسسة الحكومية الروسية المسئولة عن نشر اللغة الروسية في العالم، وتم بحث فرص افتتاح مركز للصندوق وتقديم الدعم لأقسام اللغة الروسية في مصر.

وشارك المكتب الثقافي في افتتاح فعاليات المنتدى الدولي الثالث للمترجمين والذي عقد بجامعة الصداقة بين الشعوب، الى جانب المشاركة في الاحتفال باليوبيل ٢٦٥ على تأسيس جامعة موسكو الحكومية والذي يصادف يوم الطالب الروسي، وايضاً الاحتفال باليوبيل الـ ٩٠ لميلاد رئيس معهد بوشكين للغة الروسية الأكاديمي فيتالي كاستاماروف والذي تم تنظيمه بدار العلماء الروس في موسكو.

هذا وقد استقبل المكتب وفدا من جامعة موسكو الحكومية للعلوم الإنسانية ضم نائب رئيس الجامعة للتطوير والبروفسير اليانورا كورميشيفا أحد كبار علماء المصريات في روسيا، حيث تم الاتفاق على تنظيم فعالية ثقافية في مصر وأخرى عن مصر بجامعة موسكو الحكومية خلال عام ٢٠٢٠، كما تم الاتفاق على دعم التعاون العلمي بين الجامعة والجامعات المصرية، كما قامت الباحثة الدكتورة منى عبد الملك خليل بإلقاء محاضرة في المكتب الثقافي عن الفروقات الثقافية وأثرها على التواصل بين الشعوب، وخلص الجميع إلى ضرورة العمل على إحداث التفاهم المتبادل والتوعية بالخصوصيات الثقافية للآخر، خاصة وأن المشتركات بين الثقافتين الروسية والمصرية كثيرة، وفى يوم رائع جديد من أيام مصر الثقافية في روسيا نظم المكتب الثقافي في موسكو فعاليات مختلفة في مكتبة الطفل الحكومية الروسية أكبر مكتبات روسيا للطفل لتقديم

الثقافة والتاريخ المصري وتعزيز للتواصل بين الأطفال المصريين والروس.

كما نظم المكتب الثقافي فى موسكو زيارة إلى مركز بحوث المصريات التابع لأكاديمية العلوم الروسية ومقابلة مدير المركز الدكتورة جالينا بيلوفا وفريق العمل بالمركز وأعضاء البعثة الأثرية الروسية التي تعمل في منطقة ممفيس، وتم الاتفاق على تنظيم معرض صور الاكتشافات الأثرية التي قامت بها البعثة وتنظيم محاضرة لمدير المركز بالمكتب الثقافي وسيمينار مشترك خلال العام بمكتبة الأدب الأجنبي، كما تم تنظيم محاضرة فى علم المصريات لطلبة المدارس الثانوية والجامعات بحضور شريف جاد رئيس الجمعية المصرية والاتحاد العربى لخريجى الجامعات الروسية والسوفيتية.

ومن جانبنا فى القاهرة فقد تم تحديد يوم ١٥ مارس ٢٠٢٠ موعدا لإنطلاق فعاليات عام مصر– روسيا، وتم اختيار الموضوعات ودعوة الضيوف بالتنسيق مع الجهات المعنية فى مصر، حيث قام المركز الثقافى الروسى بالقاهرة بدعوة فرقة فنون روسية قامت بتقديم عرض فنى، وكذلك إقامة تمثال لراقصة الباليه الروسية الشهيرة آنا بافلوفا بساحة أكاديمية الفنون المصرية فى حضور صانع التمثال الفنان أسامة السروى وقيادات الأكاديمية وفى مقدمتهم الدكتور أشرف زكى رئيس الأكاديمية، وبمناسبة " اليوم العالمى للفضاء" قررت روسيا إهداء مصر تمثال لـ يورى جاجارين أول رائد فضاء فى التاريخ، لوضعه فى وكالة الفضاء المصرية، وتم وصول التمثال بالفعل ولكن تأجل حفل الإفتتاح لحين انتهاء جائحة كورونا.

إن الأحوال الإستثنائية التي مرت بها مصر جراء فيروس "كورونا المستجد"، دفعت المراكز الثقافية العاملة فى مصر، لإغلاق أبوابها تماشيا مع قرار وزارة الثقافة المصرية بتعليق كافة الفعاليات الثقافية كإجراء احترازى ضد فيروس كورونا، واستجابة للإجراءات التى أعلنها مجلس الوزراء ضمن الإجراءات الوقائية، وتم تأجيل ما خططنا له، فلم يعد ممكنا ممارسة الأنشطة في ظل تقييد الحركة والقيود التي حظرت التجمعات والفاعليات، وكان لابد من إيجاد بدائل وحلول لإستمرار النشاط الثقافي بأشكال جديدة، فقام المركز الثقافى الروسى بتنظيم دورات مخصصة للأطفال "أون لاين" بهدف تحسين صحتهم النفسية، لإستغلال الوقت بطريقة صحيحة وتلاقى الأصحاب من

خلال الدورات على الإنترنت، وتكوين صداقات جديدة، كما تم تنظيم كورسات لتعلم اللغة الروسية أون لاين.

وبالتعاون مع المركز الثقافي الروسي بالقاهرة نظمت الفنانة الروسية "أنا فينتشوك"، الأستاذة بمعهد الفنون المسرحية في موسكو والممثلة بمسرح الدراما وعضو الجمعية الدولية للفنون، نشاطا رياضيا عبر الانترنت "أونلاين" يشمل تدريبات اللياقة البدنية والأداء التعبيري وتدريبات البالية، بمشاركة ٢٠٠ شاب وفتاة من روسيا وعدة دول بينها ٤ من صغار طلاب المعهد العالي للبالية التابع لأكاديمية الفنون في مصر، وبمبادرة من الجمعية المصرية لخريجى الجامعات السوفيتية والروسية برئاسة شريف جاد تم توجيه الدعوة للإحتفال "أونلاين" عبر وسائل التواصل الاجتماعى بالذكرى الـ٥٦ لتحويل مجرى النيل فى اطار بناء السد العالى المشروع القومى العملاق.

وفى اطار الاحتفالات بالذكرى الـ ٧٥ للإنتصار فى الحرب العالمية الثانية شارك المركز الثقافى الروسى بالقاهرة والإسكندرية بمجموعة من الأنشطة أونلاين، كما شاركت الجالية الروسية فى جميع المدن المصرية عبر شبكة الانترنت فى احتفالية بعنوان "كتيبة الخالدين" حيث حمل كل شخص صورة لفقيد له من العائلة فى الحرب فى رسالة وفاء للأهل من ضحايا الحرب، كما تم تنظيم حفلاً موسيقياً أونلاين فى اطار الاحتفال بعيد النصر بالتعاون مع المجلس التنسيقى للمغتربين الروس فى مصر، وعرض المركز الثقافى الروسى مجموعة من الأفلام الحربية على صفحته على الفيسبوك، الى جانب تنظيم لقاءاً انسانياً عبر الفيديو كونفرانس بين الأطفال الروس فى مصر وقدامى المحاربين الروس فى موسكو للحديث عن ذكريات الحرب وتواصل الأجيال.

وبمبادرة من الجمعية المصرية لخريجى الجامعات الروسية والسوفيتية تم الاحتفال أونلاين بيوم اللغة الروسية وذكرى ميلاد شاعر روسيا الأعظم ألكسندر بوشكين، بالتعاون المركز الثقافى الروسى حيث أسعدنى نجاح الفاعلية والمشاركة الواسعة للمبدعين والمثقفين المصريين للإحتفاء بشاعر روسيا الأكبر.

ومع اعلان الدكتورة إيناس عبد الدايم وزير الثقافة عن خطط استئناف العمل لجميع

المواقع الثقافية والفنية اعتبارا من منتصف شهر يوليو ٢٠٢٠، واستئناف أنشطة عام الثقافة "المصرى- الروسي" التى استعدت له الوزارة بأجندة ثقافية وفنية وفكرية تضم أنشطة تبادلية متنوعة سيتم تنفيذها بما يليق بتاريخ البلدين والعلاقات الوطيدة التى تربط بين شعبيهما. تم الاتفاق على تنظيم أكبر معرض فى تاريخ المركز الثقافى الروسى، فى أكتوبر ٢٠٢٠ بمشاركة ٤٠ فنان تشكيلى من مصر، تحت عنوان "رسالة حب إلى روسيا"، إضافة إلى عرض تمثال لكاتب روسى حاصل على جائزة نوبل، فى مكتبة الإسكندرية.

وفى نوفمبر ٢٠٢٠، نظم أكبر معرض كتب، بالتعاون مع اتحاد كتاب روسيا، فى احتفالية ثقافية كبرى، وأيضاً تنظيم لقاء ثقافى روسى فى متحف أحمد شوقى، وفى شهر ديسمبر تم تقديم "أسبوع الأفلام الروسية" المترجمة الى العربية مع وجود صناع هذه الأفلام أثناء عرضها فى مصر، بالتعاون مع قطاع العلاقات الثقافية الخارجية وهيئة قصور الثقافة.

لقد فرضت أزمة كورونا على البشرية خطاباً إنسانياً جديداً على كافة الأصعدة، الشخصية والعامة، فلم يعد هناك وقت للحديث عن ظروف العمل، الهوايات، كيفية قضاء الاجازات ..... حيث ارتبطت جميع الموضوعات الجديدة في الخطاب العالمي بوباء كورونا (الأنشطة السياسية، الاقتصادية، الفكرية والثقافية، الأنشطة الترفيهية، التعليمية والبحثية، والرياضية..إلخ)، وانتجت نشاطا اجتماعيا وثقافيا هائلاً عبر الإنترنت، كبديل للناس بعدما تم فرض الحظر على السفر والتجمعات الكبيرة وتوقفت الجولات والمهرجانات الموسيقية، والفعاليات الرياضية، وتغير الروتين اليومي من الاستمتاع بمشاهدة دوريات كرة القدم، وعروض السينما والمسرح، والمهرجانات الغنائية، والأنشطة الثقافية، إنها فعلاً مفارقة أن تعيش الثقافة اليوم تراجيديا غير مسبوقة نجح فيها فيروس متناهي الصغر في إحداث كل هذا التغيير في المشهد العالمي، ولكن رغم كل هذا الخوف يحدونا الأمل بنهاية قريبة لهذا الوباء والعودة من جديد إلى ساحاتنا العامة ومنتدياتنا ومسارحنا وأجندتنا الثقافية، والاحتفاء بعام مصر – روسيا كما ينبغى ويليق بتاريخ العلاقات الدبلوماسية والإنسانية بين البلدين.